الخلاف بين الدعاة

مظاهره وأسبابه وعلاجه

د/ مجدي عبد الغفار حبيب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة

مقدمة

الحمد الله والصلاة والسلام علي خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وبعد .

فإن الإسلام دين الكافة يسع الناس جميعا في كل عصورهم وأمصارهم، وإن الخلاف حدث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأقره تيسيرا على الأمة ،وتعليما لها ، وإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد ولكل وجهة، وشهدت الأمة بعد ذلك عصرا سعيدا كان أئمة العلم والدعوة فيه يختلفون ،ولكنهم كانوا بجانب هذا يتكارمون ويتعاونون ويتراحمون فيما بينهم كثيرا، وإن كنت في شك فاسأل تاريخ هذه الأمة :عن إكرام الإمام مالك للإمام للشافعي واحترام الإمام الشافعي للإمام أحمد بن حنبل، حتى ورد أنه كان يتبرك بغسالة قميصه. أي يتبرك الأستاذ الإمام بغسالة قميص تلميذه المخالف له في الرأي والاجتهاد،ثم سل تاريخ هذه الأمة:عن معاونة صاحب الإمام أبي حنيفة للإمام الشافعي ،ودفعه إليه كتبه في كرم وحسن ضيافة وصدق محبة ،ولا تنس إباء الإمام مالك على الخليفة الرشيد أن يحمل الناس في بلاد الإسلام كلها على موطئه ومذهبه ،ويعتذر إليه بأن الإسلام أوسع من موطئه ومذهبه، أرأيت هذا النبل والطهر في تاريخ الدعوة الإسلامية بين علماء ودعاة سادوا العالم، وقادوا سفينة الدعوة في عصورهم رغم ما بينهم من خلاف أجل.

ولكنك ستقضي الأسف حين ترى بجانبه شرائح من أمتنا أيضا، تراشقوا بالكفر وتراموا بالشرك ،وتقاذفوا بالتبدع والهوى لمجرد تأويل يستسيغه النظر، ويتسع له صدر الاستدلال، ثم اتسع الخرق على الراقع في بعض الظروف حتى دارت معارك طاحنة بين صفوف الدعاة من أبناء الأمة الواحدة ،وأريقت دماء زكية كلها إسلامية ،ولا نزال نشهد من مثل هذا الصراع القائم على التنطع مشاهد ما كان أغنانا عنها ، وما كان أحرانا بالحذر منها خصوصا بعد ما ورد من الآيات، وبعدما جاء من أحاديث فيها إقرار رسول ﷺ لأمثال هذه الخلافيات، حتى أنه قال في حديث واحد ثلاث مرات هلك المتنطعون، وهي كلمة واحدة ولكنها كبيرة تحذر، وتنذر، وتمثل الهلاك جاثما في التنطع بأشكاله، وألوانه في الأنفس ،والأعراض والأموال، وفي الأفراد، والجماعات على سواء .

فإذا عرفنا أهمية هذا الموضوع ؛ فلنبحث في مظاهره ، خاصة مظاهر الخلاف المذموم مما يلمسها المتابع وهي غير خافية على ذي

لب ، وأسبابه ، وأدابه،وقد دعاني للكتابة حول هذا الموضوع عدة أمور أبرزها:

(١) أهمية التعرف على هذا الخُلُق الذميم الذي سري بين جماعة من الدُعاة حتى أصبح منتشرا بين بعض شباب الدعوة ؛ حيث انبرى للخلاف مع غيره من الدعاة من لا يعرف آدابه ولا يعرف ما هي الأمور الخلافية المنتقدة والأسلوب الأمثل للنقد .

(٢) إسداءً للنصيحة لكل من يقع في هذا الاتجاه الذميم .

(٣)لأهمية بيان آثار الخلاف الوخيمة على الدعوة والدعاة .

(٤)دفاعاً عن إخواني الدعاة والعلماء. والمصلحين العاملين في ميدان الدعوة الإسلامية.

(٥)ما ينبغي أن يقرر ويكرر: أن الحكم على داع، أو جماعة دعوية بالبدعة والهوى لا يجوز أن يكون مبنيا على غير بدعة أو هوى....

ومن ثم أضع بين يدي إخواني الدعاة هذا الموضوع : الاختلاف بين الدعاة مظاهره وأسبابه،وعلاجه، وآدابه: راجيا من الله التوفيق والسداد.

حقيقة الاختلاف :-

الاختلاف والمخالفة والخلاف المضادة وقد خالفه مخالفة و خلافا وفي المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه[1] فالاختلاف أن ينهج كل إنسان سبيلاً مغايرا للآخر في حاله أو في قوله . والخلاف أعم من(الضد) لأن كل ضدين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يؤدي إلي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة قال الله تعالى :{فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ }(الزخرف:٦٥)

ونخلص من هذا إلي أن (الخلاف والاختلاف) يراد به مطلق المغايرة في الرأي أو القول أو الهيئة أو الموقف أو الحالة .

الخلاف من طبيعة بني آدم :-

([1]) لسان العرب ج٩ ص٩٠

قضت مشيئة الله تعالى خلق البشر بعقول ومدارك مختلفة ، إلي جانب تباين الألسنة والأفكار والتصورات وكل تلك الأمور تؤدي إلي تعدد الأقوال والآراء ، ومن ثم كان الخلاف من طبيعة بني آدم ؛ وذلك لاختلاف عقولهم ومداركهم، ودخول الهوى على نفوسهم، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} (هود الآية ١١٨ و من الآية١١٩)) الخلاف منه القديم ومنه الحديث، لكنه قد يفتر أحيانا وقد يتفجر أحيانا. ويتميز كل عصر بقضايا دعوية معينة يدور حولها الخلاف بين الدعاة ، ومع كل ذلك.فإن الحق واحد ويبقى محفوظا لا يضره اختلاف المختلفين.

وظاهرة انفجار الخلاف في الأمة لا تنتشر غالبا إلا حينما ينشغل المسلمون عن الاهتمامات العالية والجهاد في سبيل الله تعالى، ويميلون إلى الاسترخاء والدعة والترف، فيظهر حينئذ الترف الفكري والجدل والهوى.

الخلاف منه المحمود ومنه المذموم :-

وليس كل الاختلاف مذموم، بل إن هناك كثير من القضايا الدعوية التي اختلف فيها السلف والخلف، ولم تفضي بهم إلى التشتت والتنابذ، بل كانوا يتكارمون ويتعاونون ويتراحمون وبقيت المودة بينهم، وبقي الصف موحدًا والقلوب مؤتلفة.....

أما من فارقه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من المخالفين من أهل البدع والأهواء فإن ذلك لم يكن إلا حينما خالفوا أصول الدين،و ما كان عليه الرسول ﷺ ،وأصحابه رضوان الله عليهم ، وهذا تفرق محمود...

أما الاختلاف الحاصل بين الدعاة من أهل السنة والجماعة فلا يعد مذمومًا إلا إذا انتهى بالمختلفين إلى التنازع والتنابز؛ وذلك لدخول الهوى والبغي بين المختلفين.

«عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك،وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) [1].

([1]) انظر سنن أبي داود: (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة: (٣٩٩١).

وعن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)(١).

وقال ﷺ : (إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحري ألا يقوم به)(٢).

ومن ثم يتبين لنا أن الخلاف منه ما يكون محمودا ، ومنه ما يكون مذموما ، وهذا ما يلاحظ من كلام العلماء قديما وحديثا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (٣) ... ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ : إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا، ثم قد يؤول إلى الدماء (٤)، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط.(٥)

---

(١) مسند أحمد: (١٠٢/٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٠٢/٤) . وأبوا داود- مختصرا - في كتاب السنة ، باب شرح السنة ، الحديث رقم (٤٥٩٧)،(٦،٥/٥)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: (١٣٨/١ - ١٤٠) ملخصا، ت: د. ناصر العقل.ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) ومعني يؤول إلي الدماء : أنه قد تحدث منه فتن وخصومات يحمل فيها السلاح ، ثم يتقاتل الناس فتسيل الدماء ، وهذا ما حدث فعلا من الخوارج ، والمعتزلة ، والشيعة، والقرامطة ، والنصيرية ، وأصحاب الإتجهات والمذاهب المعاصرة من اليساريين والقوميين ، والبعثيين والإشتراكيين ونحوهم، فهؤلاء يثيرون الفتن ويستحلون الدماء في سبيل تحقيق مبادئهم وأهوائهم وفرضها علي الإمة ، والواقع يشهد بذلك. أنظر : إقتضاء الصراط المستقيم ج١ هامش ص ١٣٩

(٥) الاختلاف في الدنيا فقط مثل الخصومات علي العقارات والأموال ونحو ذلك مما يقع بين العباد.

وهذا الاختلاف الذي دلت عليه الأحاديث هو مما نهي عنه في قوله تعالى: {وَلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا} (آل عمران: من الآية١٠٥)،و قوله تعالى {إِنَّ الذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (الأنعام:١٥٩)

وقوله تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (الأنعام:١٥٣) وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال:(سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)(١)...

وروى مسلم في صحيحه أيضا ،عن ثوبان قال :قال رسول الله ﷺ:(ثم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض(٢) وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم(٣) وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا)(٤) وروى أبو داود في سننه عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:- (..... وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين .... ولا تزال

---

(١) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٨٩٠).(٢٢١٦/٤).

(٢) الكنزان الأحمر والأبيض هما: الذهب والفضة ، وفي هذا إشارة إلي ملكي كسرى وقيصر

(٣) بيضتهم : أي أصلهم ، وحوزتهم ، وعزهم ، ومنعتهم ، انظر : لسان العرب ، ومختار الصحاح مادة (ب ي ض).

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض . حديث رقم (٢٨٨٩) ج٣ ص ٣٢١٥.

طائفة من أمتي على الحق قال بن عيسى ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[١]. فهذا يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته لينجو منه من شاء الله له السلامة، كما روى النزّال بن سبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: «سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبيﷺ فذكرت له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: (كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) [٢].

فقد(نهى النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه،وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ... فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم.

واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب؛ وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبًا فيما يثبته، أو في بعضه، مخطئًا في نفي ما علي الآخر،كما أن القارئين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئا في نفي حرف غيره؛ فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه.

ولهذا نهيت هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين، والكفر بالأخرى - إذا اعتقد أن بينهما تضادًا - إذ الضدان لا يجتمعان[٣]

---

(١) سنن أبي داود. كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر الفتن ودلائلها حديث رقم (٤٢٥٢) ج٤ ص٩٧.

(٢) البخاري: (٢٤١٠).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص ١٤٥ مرجع سابق.

أقسام الخلاف:-

وإن المتدبر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الاختلاف- الذي يؤدي إلى التفرق والخصومات- يجده علي قسمين[١]

أحدهما: يذم الطائفتين جميعًا، كما في قوله تعالى: (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) (هود: من الآيتين ١١٨، ١١٩).

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}(البقرة:١٧٦)،وكذلك قوله تعالى:{ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (آل عمران: من الآية١٩)، وقوله تعالى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران: من الآية١٠٥).

وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (الأنعام: من الآية١٥٩)

وكذلك وصف الله اختلاف النصارى بقوله تعالى: {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (المائدة: من الآية١٤)

ووصف اختلاف اليهود بقوله تعالى:{ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } (المائدة: من الآية٦٤) وقوله تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}(المؤمنون:٥٣)

وكذلك الرسول ﷺ لما وصف أن الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال (كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)[٢] وفي الرواية الأخرى: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[٣].

---

(١)- المرجع السابق ص ١٤٦ وما بعدها.وانظر شرح السنة للإمام الحسن بن مسعود البغوي: ج١ ص٢٢٩ تحقيق الشيخين علي معوض وعادل عبد الموجود ط/دار الكتب العلمية بيروت. وانظر زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ج١ ص٢٧٤ تحقيق مصطفي عبد القادر عطا ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) سبق تخريجه

(٣) انظر ما ذكره الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - عن حديث الافتراق في السلسلة الصحيحة (٢٠٤).

فبيَّنَ الرسول ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم من كانوا علي ما عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

والقسم الثاني: ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى، كما في قوله تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } إلى قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} (البقرة: من الآية٢٥٣).

فقوله: { وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ } حمد لإحدى الطائفتين – وهم المؤمنون – وذم الأخرى.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك آل إلى سفك الدماء،واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك.

وكذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (البقرة: من الآية٢١)

لأن البغي: مجاوزة الحد؛

أنواع الاختلاف :-

الاختلاف نوعان ،اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد. وكل نوع، له عدة وجوه.

فأما النوع الأول: اختلاف التنوع فمن وجوهه :-(١)

١- : ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًا مشروعاً؛ كما في القراآت التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ ،كما روى النزَّال بن سبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: «سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبيﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت له، فعرفت في وجهه الكراهية،

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٩ وما بعدها . مرجع سابق .

وقال: (كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) متفق عليه (١)

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك؛ وهذا عين المحرم. ومن لم يبلغ هذا المبلغ فتجد كثيرًا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه، ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ .

٢- : ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر؛ لكن العبارتين مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك. ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى.

٣- : ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا.

٤- : ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين. ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم إحداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية...

وهذا القسم – الذي سميناه: اختلاف التنوع – كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك – إذا لم يحصل بغي – كما في قوله: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) (الحشر: من الآية٥)، وكما في إقرار النبي ﷺ – يوم بني قريظة – لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة ...

(١) البخار: (٢٤١٠) .

وأما النوع الآخر اختلاف التضاد فهو:-

القولان المتضادان إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون «المصيب واحد» وإلا فمن قال: «كل مجتهد مصيب» فعنده هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد. فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيرًا من قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في الأصل هذا كله، حتى يبقى هذا مبطلا في البعض، كما كان الأول مبطلا في الأصل، كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم.

ومن هذا النقل النفيس عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في أنواع الاختلاف يخلص الباحث إلى الآتي:

١- أن الخلاف مع الكفار والمبتدعة خلاف محمود؛ لأن الله عز وجل أمرنا بمفارقتهم وأوجب مخالفتهم.

٢-أن الخلاف في مسائل الاجتهاد بين الدعاة من أهل السنة والجماعة إذا لم يؤد إلى تنازع وتنابز وفساد المودة فهو خلاف محمود، أما إذا انتهى بالدعاة إلى الاختلاف والخصام، فإن كلا المختلفين مذمومان؛ لما في النفوس -في مثل هذه الحالة- من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض.

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -: «... فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية وهي قوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا}(الأنعام: من الآية١٥٩) ..

فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها .. فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى .. وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين» (١).

---

(١) الموافقات: (٤/٢٢١-٢٢٢) ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

مظاهر الاختلاف بين الدعاة

الأصل في أمة الإسلام الوحدة وعدم الفرقة ، قال تعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } (البقرة:١٤٣) وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران:١٠٣)

فتمتاز هذه الأمة ، بوحدة الجماعة ، ووحدة القيادة ، ووحدة الراية ، وأي خروج عن هذا الأصل يعتبر خللا طارئا يجب أن يرد إلي هذا الأصل ، (ولا يكون الرضا به إلا من جنس القبول المرحلي بالأمر الواقع ، مع السعي في استصلاح الأحوال ، والاجتهاد في تكميل مصالحه وتقليل مفاسده ، تمهيدا للعودة به إلي الأصل الثابت من الوحدة ، حتى تعود الأمور سيرتها الأولي (١).

ومن ثم لا ينشأ التعدد المحذور ، وخلاف التضاد المذموم ، الذي كان سببا في التضارب في مواقف هذه الأمة سياسيا، وجهاديا ، وأدي ببعض الدعاة إلي التعصب الذي عقدوا علي أساسه الولاء والبراء، فأفضى إلي تمزق الأمة بين انتماآت متصارعة، وتحزبات منكورة، وبدلا من أن يكون تعددا في المسائل الفرعية والاجتهادية - الذي يعد تعدد تخصص وتكامل، يتنافس فيه الدعاة في الدعوة إلي الخيرات ،و يتسابقون فيه في أعمال الخير والإحسان- أصبح تعددا محذورا ، وتعصبا ممقوتا ، وتمزقا ملحوظا.

ومن مظاهر هذا الاختلاف :

أولاً- إخفاق الدعاة في التجمع حول وحدة الأصول:

ينبغي أن تكون الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع بمثابة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد من الدعاة خروج عنه ، إلا أن من مظاهر اختلاف الدعاة أحيانا عدم وجود لهذا التجمع، وقد

---

(١) - الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي . د/ صلاح الصاوي ص ٣٣٥ كتاب المنتدى الإسلامي . مطابع أضواء البيان . الرياض.

تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الوحدة بقوله: (فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة بالإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ، ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض ، وهم أهل السنة والجماعة ، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء ، قال الله تعالى : {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} (المائدة:١٥-١٦) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة: من الآية٢٠٨)

والتنوع قد يكون في الوجوب تارة ، وفي الاستحباب أخرى)[١] ولكن الدعاة أخفقوا في التجمع حول هذه الوحدة ، وتنازعوا وتراشقوا بالكفر وتراموا بالشرك ،وتقاذفوا بالتبدع والهوى لمجرد تأويل يستسيغه النظر، ويتسع له صدر الاستدلال .

ثانيا :التصارع والتضارب بين الفصائل الدَّعويَّة:-

إن تعدد الفصائل العاملة في ميدان الدعوة الاسلامية ، ينبغي أن يكون تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تضارب وتناقض وتصارع وبغضاء ،ولكن الناظر علي الساحة الإسلامية الدعوية يجد أن البلد الواحد صار فيها عشرات الفصائل الدعوية،المتضاربة والمتصارعة (وهذه الحقيقة نجدها أكثر بروزا، وتجسدا في فضاء الإسلام السني ، حيث لا بابوية ولا كهانة ، ولا عصمة لعالم دين ، ولا لمؤسسة من مؤسسات العلم الديني ،فالعصمة فقط للأمة التي لا تجتمع علي ضلالة، والفتوى غير ملزمة ، واجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر.)[٢] .

ومن أبرز هذه الفصائل الدعوية ما يلي:-

١- الظاهرية الجدد :

فهؤلاء الذين يعتمدون علي حرفية ظواهر النصوص ، دون إعمال للعقل في مقاصد هذه النصوص .

---

(١) - مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٩ ص ١١٧. ط/ مجمع الملك فهد.

(٢) - الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني د/ محمد عمارة ص ١٣ ط/ مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى . وهو سلسلة مقالات نشرت بجريدة الأخبار المصرية .

وهذه الفصائل تتعصب لوجهة نظر تراها - في العقيدة ، أو الدعوة ، وترمي غيرها ، ممن لا يري رأيها، بالبدعة والضلال وقلة الدين، وتفتعل الخلافات، وتشعلها ، مع خشونة في الدعوة ، وجفاف في الروح ،ويسميهم الدكتوز القرضاوي : (بالظاهرية الجدد ، الذين يهملون النظر في الحكم والأسرار والمعاني التي جاء بها النص ، ومن أجلها وُجد، ولا يراعون المقاصد الكلية العليا التي أنزل الله شرائعه، لتحققها في حياة الناس ، من العدل والإحسان ، والرحمة ، والإخاء، والحب والتكافل ، والتعاون علي البر والتقوى ، وبرعاية هذه المقاصد العليا للشريعة تزكو الأنفس ، ويصلح الأفراد .....إلخ ومشكلة هؤلاء (الحرفيين)أنهم- رغم إخلاصهم وتدينهم- ضيقوا الأفق في فهم النصوص ، وفي فهم الواقع ، ولا يبالون بتغير الزمان والمكان والإنسان ، وهم مستعدون أن يقاتلوا دون رأيهم ، وأن يخوضوا المعارك ، لإبقاء كل قديم علي قدمه، زاعمين أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ولديهم قدرة علي التشويش والتهويش ، وكسب العوام السطحيين ، الذين يعجزون عن التمييز بين دقائق الأمور ،والذين تستهويهم الألفاظ البراقة وإن لم يكن ورائها حقائق علمية أو دينية ، ولا يستطيعون أن يفرقوا بين الأصلي والفرعي ،ولا بين القطعي والظني، ولا بين المحكم والمتشابه[١]

٢- تيار الغضب والرفض : -

وهو نوع من فصائل نصوصية الجمود والتقليد ، الذي استفزهم بؤس الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي المعاصر ، تحت استبدادية الأنظمة ، والهيمنة الغربية ، والحكومات المصنوعة علي أعين الغرب ، أو المحروسة غربيا [٢].

ولتيار الغضب والرفض هذا خصائص منها :

أ - الشدة والصرامة في الالتزام بالدين .

---

(١) - خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص١٥١ ط/ دار الشروق ، وانظر : الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني ص١٧-١٨ مرجع سابق . وانظر :الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د/ القرضاوي ص ٦٦ الطبعة الثانية سنة ١٤١٣ه-١٩٩٢ م ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ..

(٢) - انظر : الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني ص -١٨-١٩ مرجع سابق

ب- المسارعة إلي التكفير بغير تحفظ .

ج- استعجال الأشياء قبل أوانها .

د- سوء الظن بالآخرين جميعا .

هـ- ضيق الأفق في فهم الدين ، وفهم الواقع ، وفهم السنن الكونية والاجتماعية .

و- الاعتزاز بالذات اعتزازا يؤدي إلي نزعة الاستعلاء علي المجتمع.

ز- اتخاذ القوة المتهورة سبيلا إلي الآخر[١] .

إن هذا الفصيل قد رفض طريق الإصلاح ، واختار طريق العنف ، وأدار ظهره لسنة التدرج في الإصلاح ، وتعجل القفز علي السلطة والدولة ، بالانقلاب، بدلا من مشاق طريق التربية والتوعية ، وقد قام الإعلام الغربي، والمحلي بتسليط الضوء ،علي هذا النوع من الفصائل الدعوية ، حتى يصل إلي مقصده الخبيث من هذا التسليط الإعلامي ، وهو وصف الإسلام ، علي أنه دين عنف وإرهاب .

٣- المولوعون بالقضايا الخلافية :

وإن من ألخطر والخطل ،جر الناس دائما إلي الأمور الخلافية ، التي لا ينتهي الخلاف فيها ، وإدارة الملاحم الساخنة حولها ، وتصنيف الناس علي أساس مواقفهم منها ، وتحديد الولاء لهم أو البراء منهم، بناء علي ذلك .

إن هذا الفصيل الدعوي يعرض القضايا المختلف فيها اختلافا كبيرا، علي أنها قضايا مسلمة ، لا نزاع فيها ولا خلاف عليها ، متجاهلين رأي الآخرين ، الذين لهم وجهتهم ، ولهم أدلتهم .

إنه لا يحل التشنيع والإرجاف علي طائفة ما ، بسبب مسائل تحتمل وجوها في الفهم ، ومتسعا للرأي ، ولا يحل التضليل والتكفير لخطورتهما.

إن الواقع يثبت أن أسلوب بعض الدعاة المعاصرين ، لا يعتبر تعبيرا صحيحا عن الحقائق الدينية الإسلامية، فكثير من الدعاة اليوم،

---

(١) - في فقه الأولويات / الدكتور القرضاوي ص ١٨٩-١٩٠ ط دار الوفاء . وانظر: الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني ص ١٩ . مرجع سابق .

يتحدثون عن أمور غيبية ، ليس لها أساس من كتاب أو سنة صحيحة، أو يتحدثون في أمور دنيوية ، لا يعرفون مدخلا أو مخرجا صحيحا لها ، وأحيانا يوقعون الناس في فتاوى خاطئة ، ويتكلمون بغير فهم ،....، وينسبون إلي الإسلام أمورا ليست منه في شيء[١]

إن أمثال هذه الفصائل الدعوية تنهج نهج التشدد والغلو، ولاسيما مع الآخر ، سواء كان مخالفا في الدين، أو المذهب ، أو الفكر، أو المنهج الدعوي ، ، وهو نهج يريد أن يضيق واسعا ، ويعسر ميسرا ،ويحارب مسالما ، ويعادي مسامحا ، وهذا النهج المغالي المتشدد المتنطع ، مكروه ، بمقتضى الفطرة ، مذموم بحكم الدين ، (عن الأحنف بن قيس عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :(هلك المتنطعون قالها ثلاثا) [٢]

يضاف إلي هذه التيارات أو الفصائل :

٤- التيار الصوفي :

وهو تيار يركز القائمون به علي علم القلوب ، والإلهامات التي ثمرتها المجاهدات الروحية ، وعل تزكية النفوس من زيغها .

وهو تيار له دعاته وجمهوره ، الذين يمثلون في هذه الأرض- ما يمثله الملح للطعام ، ضرورة لا غنى عنها ، لكنها لا تكفي وحدها!!.

والواقع يثبت أن هناك ألوانا عديدة داخل هذا التيار الصوفي ، حسب درجات المقامات والأحوال ، ووفق درجات الإلتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ، وهداها ومنطقها ، وهذا الواقع للتيار الصوفي يغاير ويختلف عما في كثير من الطرق الصوفية من بدع وخرافات ، لا علاقة لها بالدين ، ولا يرضى عنها ، -بل يطاردها- هذا التيار الصوفي المعتدل السني [٣]

---

(١) - انظر : ندوة الخطاب الديني المعاصر ،بتصرف. مجلة المنار عدد رجب ١٤٢٥ه ص٧٦ ، وانظر : تجديد الخطاب الديني (تعريف وضوابط)د/ كمال المصري . موقع إسلام أون لاين .

(١) - صحيح مسلم كتاب العلم ،باب هلك المتنطعون ج٤ ص ٢٠٥٥ ، حديث رقم ٢٦٧٠ .

(٢) - الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني ص ١٥بتصرف مرجع سابق . .

٥- تيار الدعوة إلي الوسطية :

ويمثل هذا التيار في الفكر المعاصر مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي ، وفي مؤسسات العلم الإسلامي مثل الأزهر الشريف ، والجامعات الإسلامية التي تدرس وتحتضن كل تراث الأمة ، دون تعصب لمذهب أو فرقة ، والتي تستلهم من التراث – كل تراث السلف والخلف جميعا – ما هو صالح للإجابة عل علامات استفهام الواقع المعايش .

وهذا التيار الوسطي يتميز – في نظرية المعرفة – باعتماد كل من الوحي – كتاب الله المسطور ، والكون ، وعالم الشهادة – سنن الله في الأنفس والآفاق ، كتاب الله المنظور – اعتماد هذين المصدرين مصدرا للعلم والمعرفة ، والقراءة لهما وفيهما معا . (١)

إن التيار الوسطي الذي يقوم علي التوازن والوسطية في الجمع بين الدين والدنيا ، له خصائصه التي تميزه عن سواه ،واهم مبادئه التي يركز عليها هي :

أ- فقه سليم لدين الله ، فقها يتميز بالشمول والاتزان والعمق .

ب- فقه مبصر بواقع الحياة ، دون تهوين ولا تهويل ، واقع المسلمين وواقع أعدائهم .

ج- فقه سنن الله وقوانينه التي لا تتبدل ، وخصوصا سنن الاجتماع البشري .

د- فقه مقاصد الشريعة ، وعدم الجمود علي ظواهرها .

هـ- فقه الأولويات، وهو مرتبط بفقه التوازنات .

و- فقه الاختلاف ، وأدبه مع الفصائل الإسلامية الأخرى ، (التعاون في المتفق عليه ، والتسامح والتناصح في المختلف فيه) .

ز- الجمع بين السلفية والتجديد ، أو الأصلة والمعاصرة .

ح – الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر .

ط- الإيمان بأن التغيير الفكري والنفسي والخلقي أساس كل تغيير حضاري .

ي- اتخاذ منهج التيسير في الفتوى ، والتبشير في الدعوة.(٢)

---

(١) انظر في هذا كتاب الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني ص ١٤ بتصرف مرجع سابق .

(٢) في فقه الأولويات ص١٩٠-١٩١. مرجع سابق .

ثالثا: نقد الدعاة بعضهم لبعض بما لا يتناسب وأخلاق الإسلام، ومن ذلك :

١- تجريح المخالف :

كوصف بعض الدعاة بالميوعة أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف العربية ؛ أو أن بضاعته في العلم مزجاة .

وهذا بعيد كل البعد عن التعرض للأخطاء من أجل تقويمها وتبيين الحق من الباطل ؛ مما يجعل الداعي مغرضا وصاحب هوى. نسأل الله السلامة. إن بعض المنتسبين إلي حقل الدعوة ،في كثير من الأحوال ، لا يعتمدون العلمية والموضوعية والوثائقية ، التي تتطلبها طبيعة العصر وخصائصه وروحه ، فتجدهم ينحرفون نحو التجريح الشخصي ، أو الطائفي ، أو المذهبي ، مما يضعف أثره ، ويقوى ضرره (١)

فيتعرض بعض الدعاة لجرح الآخرين من غير حجة ولا برهان ؛ وإنما للتشفي، وليصبح النقد مهنة لذلك الداعي المنتقد في نقد المخالفين ، فالجرح في أي داعية أو عالم ، سواء أكان من أهل السنة أم من المبتدعة دعوى تحتاج إلى مستند ، والدعاوى إن لم يُقِمْ أصحابُها بيناتٍ ، فأصحابُه أدعياءُ

٢-الاعتماد في الخلاف على حجة واهية :-

إما لعدم التثبت ، أو لعدم عدالة الناقل ، أو لأنه يَهِمُ في خبره ، أو تحميل الكلام ما لا يحتمل ؛ وهذا ملحوظ والله المستعان .

٣-تتبع عثرات المخالف :-

وعدم الموازنة بين هفوة الداعية أو العالم وفضائله الكثيرة ، بل وغمْر تلك الفضائل العظيمة من أجل زلة وقع بها . (ومن مستندات المشنعين) الجراحين : تتبع العثرات وتلمس الزلات ؛ فمن ذا الذي سلم من الخطأ غير أنبياء الله ورسله ؟ وكم لبعض المشاهير من العلماء من زلات لكنها مغتفرة بجانب ما هم عليه من الحق والهدى والخير ؟ ولو أخذ كل إنسان بهذا لما بقي معنا أحد ، ولصرنا مثل دودة القز تطوي على نفسها بنفسها حتى تموت) [٢] .

---

(١) - الخطاب الإسلامي وحتمية تطويره . د/ فتحي يكن ص٥٢.

(٢) - مجلة البيان العدد ١١٨ ص٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٨ه/اكتوبر ١٩٩٧م.نقلا عن : تصنيف الناس بين الظن واليقين للشيخ بكر أبو زيد ص٣١

٤- الطعن في النيات والمقاصد : بدعوى أن مقصد ذلك الداعية خبيث والحكم عليه في نيته بالظن ؛ وهذا مسلك خطير ؛ فمعرفة ما في السرائر موكول إلى الله (سبحانه وتعالى) ، مثل أن يقال: يظهر السلفية ويبطن الصوفية ، أو أنه ذو نية خبيثة ، أو أنه صاحب فتنة ويريدها ، أو أنه عدو للسنة

فبعضهم ينظر لبعض من خلال منظار أسود، يخفي حسناتهم ،على حين يضخم سيئاتهم.

٥-التندر على الدعاة في المجالس : واستغلال أي فرصة للغمز واللطعن بحجة بيان الحق وتعرية الباطل وأهله ؛ وهذا خلق ذميم .

٦-التهويل :

في نقد بعض العلماء أو الدعاة ، ورميهم بالكذب أو البدعة ، أو أنهم أخطر من اليهود والنصارى .

٧-الطعن فيما يجيده ذلك الداعية :

فقد يكون بعض الدعاة مشتغلا في دراسة أحاديث النبيﷺ، فينتقد بأنه ليس له همّ إلا : حدثنا وأخبرنا، أو لاهتمامه بفقه الواقع ومن يعمل فيه ؛ فينتقص بأن ذلك فقه (الواقع) مثلا ؛ بحيث يُزْهَدُ من هذا الفن الذي هو من فروض الكفايات . (١)

رابعا:جعل أقوال بعض الدعاة أو الجماعة وأفعالهم بمنزلة قول المعصومﷺ:-

إن بعض الناس يريدون أن يجعلوا أقوال الدعاة ، أو الجماعة الدعوية التي ينتسبون إليها، بمنزلة قول المعصوم ﷺ وفعله ، (وينتصر لها بغير هدي من الله – ومن أراد ذلك – فقد اعتدي ، واتبع هواه بغير هدي من الله ، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله ؛ من اجتهاد يقدر عليه ، أو تقليد إذا لم يقدر علي الاجتهاد ، وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد. إذ الأمر مشروط بالقدرة : {لا يُكلف اللهُ نفساً إلا وُسْعَهَا}(البقرة: من الآية٢٨٦) . فعلي المسلم في

(١) – انظر : في ذلك : مجلة البيان العدد السابق.

كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو محسن ، ويدوم علي هذا الإسلام ، فإسلام وجهه إخلاص لله ، وإحسان فعله الحسن .)(١).

وقد نشأ عن ذلك بعض مظاهر للغلو منها:

أ- الغلو في التعصب لبعض الدعاة أو الجماعة الدعوية:(٢)

إن التعصب ينشأ عن الهوى بمحبة النفس أو محبة الداعي المقتدى به أو نحو ذلك من أوجه الهوى بحيث يظن المتبع أن هذا الداعي معصوم أوأن هذه الجماعة لا تخطئ.

وقد يكون من مستند المتعصب لداع أو جماعة اعتقاده أنها على الحق، وهذا الاعتقاد ليس بسائغ شرعًا؛ إذ مناط الحق الكتاب والسنة، وليست الفرقة المعينة، ومن جعل الحق مع جماعة يتبعها مطلقا ،فهو من الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعًا وأصبح من الذين وصفهم الله – عز وجل – بأنهم {كل حزْب بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } فكل حزب ممن حرفوا دينهم فرح بما يظن نفسه عليه من الحق، والحق ليس إلا في الكتاب والسنة.

وهذا التعصب وقع في الأمة على مر تاريخها وهو في الحالة الواقعة اليوم أمر ظاهر، حيث أصبح الانتماء إلى الحركات أو الجماعات،أو بعض الفصائل، وكأنما هو أصل من أصول الدين.

وكل يدعي أن حركته،أو جماعته، هم الذين على الحق وأن من سواهم على باطل.

ب- الغلو بجعل هذا الداعي أو تلك الجماعة مصدر الحق: –

إن مما ابتلى به بعض المتبوعين تعظيمهم لبعض الدعاة أو الجماعات؛ ومما لا ريب فيه ، ولا يحتاج لاستدلال : أن لأقوال العلماء أهمية ومكانة ، ولا أدل على ذلك من أنك لا تقرأ لأحد من المعتبرين في موضوع من الموضوعات إلا وتراه يثني على اختياره قولا من الأقوال ، في الإشارة إلى من قال بهذا القول من أهل العلم .

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية ج ١٩ ص ١٢٨.

(٢) – انظر بتصرف : بحث مقدم ضمن أبحاث مؤتمر الحوار الوطني السعودي في ٢٠٠٤/٢/١٧م بعنوان مظاهر الغلو المعاصر / عبد الرحمن معلا اللويحق.

لكن هذا شيء ، واعتبار آرائهم وأقوالهم حجة شرعية ومصدراً للتلقي شيء آخر .

وفي ميدان التقرير النظري : فلا يوجد أحد من أهل السنة يعتقد العصمة لرجل من الرجال ، أو يزعم أن قوله حجة ملزمة للأمة كلها، لكنك حين تنتقل إلى ميدان العمل والتطبيق : فسترى الكثير ممن يتكلم عن قضايا كبرى، ومسائل مهمة تتعلق بالمنهج ينطلق من رأي فلان وفلان من الناس ،كقضية مسلمة، خاصة في مجال تقويم بعض الدعاة ، أو تقويم بعض الميادين الدعوية والجهود والبرامج: قد يُكتفى بسؤال زيد أو عمرو من الناس ، واعتبار رأيه حجة قاطعة .

ومن ثم الحكم بالانحراف عن المنهج على فرد أو داعية ؛ بحجة أنه خالف ما قرره الداعية الفلاني أو الجماعة الدعوية الفلانية، أو الهيئة العلمية الفلانية .

ومع التأكيد علي قيمة أقوال العلماء وضرورة الرجوع إليهم واستفتائهم ، إلا أن هذا شيء ، واعتبار أقوال بعض الدعاة حجة على الأمة شيء آخر .

يقول الإمام ابن تيمية (رحمه الله) : (والمقصود أن من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقا ، اعتقادا أو حالا ، فقد ضل في ذلك ، كأئمة الضلال الرافضة الإمامية ...

وكذلك : من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء ... وكذلك : من دعا إلى اتباع إمام من أئمة العلم فيما قاله وأمر به ونهى عنه مطلقا ، كالأئمة الأربعة ، وكذلك : من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة في كل ما يأمرون به وينهون عنه من غير تخصيص ولا استثناء) [1] .

إن من أصول التوحيد: الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ من الوحي وطاعته، ومحبته، وتوقيره، والتسليم لحكمه. قال تعالي:{تؤمنوا بالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} الفتح:٩)

وقال تعالي: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} النساء:٦٥)

(١) انظر: الفتاوي لابن تيمية ج ١٩ ص ٦٩-٧٠.

والملاحظ أن أمثال هؤلاء يتبعون دعاتهم وجماعاتهم اتباعا مطلقا فيحبون ويبغضون لأجل الأهواء، إذ قبول الحق عندهم منوط بوصوله إليهم من طريق هؤلاء الدعاة أو هذه الجماعات وهذا منهج خاطئ ،لأن الأصل كما قيل – لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف الرجال–، فأمر هؤلاء مبناه على الهوى.

ج- عدم الاعتراف بالرأي الآخر :-

من المعلوم أن كل أحد من النّاس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله – ﷺ، كما روي ذلك عن الإمام مالك (رحمه الله تعالي) فالناس كلهم: مفتقرون إلى الكتاب والسنة، فلا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول – ﷺ – فما وافقها فهو الحق، وما خالف ذلك فهو باطل.

والغلاة خالفوا هذا الأصل العظيم فجعلوا دعاتهم بمثابة الرسول ﷺ حيث يطاع في كل ما يأمر به طاعة مطلقة. والغلاة المعاصرون وقعوا في ذلك التعصب والطاعة العمياء.

وهذا أمر قد يصدق على قيادات كثيرة، من أهل الغلو في كل بلد، وكل زمان فهم يغالون في قياداتهم، ويرفعونهم فوق أقدارهم ويجعلون لهم الطاعة المطلقة وينزلون كل نص في طاعة ولاة الأمر عليهم، بل إن هؤلاء يغالون في قياداتهم لشدة حبهم لهم لما يرون من تصرفات يظنونها معيارًا لرشد المنهج وسلامة الطريق.

ويتبع ذلك إعطاؤهم البيعة لتلك القيادات وتنزيلهم نصوص البيعة في الإمامة العظمى على البيعة لتلك القيادات، وعين هذه البيعة المطلقة يوجد في جماعات غالية أخرى، جعلت هذه البيعة طوقا في عنق كل تابع.

وأخلص من هذا إلي أنه يمكن إجمال تصورات الغلاة فيما يتعلق بأمر الإمامة والقيادة فيما يلي:

١- أنه بناء على أن جماعتهم هي جماعة المسلمين فإن إمامهم هو إمام المسلمين.

٢- أن إمامهم له أن يتحكم في الأموال والأنفس وأنه ليس للأتباع في ذلك حق الاعتراض.

(١) – انظر :مظاهر الغلو المعاصر . مرجع سابق.

٣- أن إمامهم له الطاعة المطلقة، ولا يلزمه بيان علة الأمر وحكمته، وعلى الأتباع عدم السؤال على هذه العلة.

هـ- الإفراط والتفريط في النظر إلي المجتمعات المسلمة :-

إن البراءة إنما هي من المحادين لدين الله الكافرين به، أما المسلمون ومن اجتمع فيه منهم فجور وإيمان فيوالى على قدر إيمانه، ويتبرأ منه بقدر فجوره، فهم يحبون من وجه ويبغضون من وجه؛فيجتمع فيهم المحبة والعداوة ، ومتي زادت البراءة من غير من يشرع التبرؤ منه قد أصبحت غلوًا مذمومًا. ولقد وقع الغلو في البراءة من المجتمعات في حياة المسلمين المعاصرة،حتى صارت معاداة المخالفين دينا وعقيدة عند بعض من يسمون أنفسهم دعاة ،[1] يتضح ذلك من كتابات الغلاة، وموضع الخلل في مفهومهم هو فهمهم الخاطئ للكفر؛ فالمجتمع كله - بزعمهم - مجتمع جاهلي كافر، فهم يريدون البراءة ممن زعموهم كفارًا. إن الفرق كبير وشاسع ، وشتان بين مجتمع الإيمان ومجتمع الكفر ، والذي بينهما هو الذي بين الحق والباطل ، وبين الطيب والخبيث ، والخير والشر، والهدى والضلال.

يقول العلامة الدكتور القرضاوي(ويبلغ هذا التطرف غايته،حين يسقط عصمة الآخرين ، ويستبيح دمائهم وأموالهم ،ولا يري لهم حرمة ولا ذمة ، وذلك إنما يكون حين يخوض لجّة التكفير،واتهام جمهور الناس بالخروج من الإسلام ،أو عدم الدخول فيه أصلا ، كما هي دعوى بعضهم، وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد ، وسائر الأمة في واد آخر.)[2] ، وقد تجرأ بعض الدعاة وبعض الجماعات علي رمي بعضهم البعض أو رمي بعض المجتمعات، بالشرك تارة ،أو الكفر تارة ،أو الفسق، أو النفاق، أو أو إلي آخره .وقد غلا أقوام آخرون فزعموا أن الهجرة واجبة من بعض الدول الإسلامية في عصرنا الحاضر مثل المملكة العربية السعودية كما يزعم أبو محمد عاصم المقدسي في كتابه «الكواشف الجلية».[3]

إن المجتمعات الإسلامية تتفاوت اليوم في مدى قربها أو بعدها عن هدي الله وسنة رسوله ﷺ ، ومدي سلامتها من البدع والمحدثات ، وقد يتميز مجتمع منها بأنه أكثر محافظة وأقل ابتداعا

(١) – أنظر ما كتبه د/ صالح بن فوزان : عن الولاء والبراء في كتابه الإرشاد إلي صحيح الاعتقاد ص ٣٠٧ – ٣١٩ ط/ دار ابن الجوزي . الطبعة الخامسة . ١٤٢١ه .

(٢) – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د/ يوسف القرضاوي ص ٥٧ الطبعة الثانية ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة.

(٣) – انظر : بتصرف مظاهر الغلو المعاصر مرجع سابق.

من غيره ، فيشعر أهله بالتوجس والريبة،لكن هل معنى ذلك أن يصل الأمر إلي القول بوجوب الهجرة من بعض بلاد المسلمين لمجرد مخالفتهم في الرأي، بل قد تتحول القضية إلى اقتناع راسخ بذلك. أو لم يكن يعرف من قبل ، ما حكاه الله تعالي عن شريحة من المجتمع : (بَل قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) (الزخرف:٢٢) ومع ذلك لم يكن مبررا للتكفير ووجوب الهجرة كما يزعم هؤلاء.

إن (ما وقع لطائفة الخوارج قديما ، وقع لأخلافهم حديثا ،وأعني بهم من سموهم (جماعة التكفير والهجرة). فهم يكفرون كل من ارتكب معصية وأصر عليها ،ولم يتب منها.وهم يكفرون الحكام، لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله .ويكفرون المحكومين ، لأنهم رضوا بهم ، وتابعوهم علي الحكم بغير ماأنزل الله. وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم ، لأنهم لم يكفروا الحكام والمحكومين ، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر .....وهكذا)[1] وهذا ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام ، والذين كانو من أشد الناس تمسكا بالشعائر التعبدية ، صياما وقياما وذكرا وتلاوة لكتاب الله تعالي ، ولكنهم أتوا من فساد الفكر ، لا من فساد الضمير. ومع ذلك فقد تورع علماء الأمة قديما عن تكفير الخوارج مع ما صح فيهم من الأحاديث التي وصفتهم بالمروق من الدين ، وأمرت بقتالهم ومقاتلتهم . فقد(ذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلي أن الخوارج مسلمون ، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ، ومواظبتهم علي أركان الإسلام ، وإنما فسقوا بتكفير المسلمين مستندين إلي تأويل فاسد ، وجرهم ذلك إلي استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم ، والشهادة عليهم بالكفر والشرك)[2]

وقال عياض :(كادت هذه المسألة أن تكون أشد إشكالا عند المتكلمين من غيرها ، حتى سأل الفقيه عبد الحق الإمام أبا المعالي عنها ، فاعتذر بأن إدخال كافر في الملة ، وإخراج مسلم منها عظيم في الدين . قال : وقد توقف القاضي أبو بكر الباقلاني . قال : ولم يصرح القوم بالكفر وإنما قالوا أقوالا تؤدي إلي الكفر . وقال الغزالي في كتاب (التفرقة بين الإيمان والزندقة) : ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا ، فإن استباحة دماء المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد)[3].

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٥٨ . مرجع سابق.

(٢)- انظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار : للشوكاني : ج٧/ص٣٥٢-٣٥٣.ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٣) – الصحوة الإسلامية ص ١٥٠ مرجع سابق .

خامسا:الإفراط والتفريط بين الدعاة :-

الدعاة في موقفهم من المخالف لهم طرفان :-

الطرف الأول :أهل الغلو والإفراط:-

وهم الدعاة الذين أفرطوا في نقد أخطاء المخالفين ،وأصحابها حتى جعلوا من الفروع أصولا ومن بعض الجزئيات كليات. وجعلوا همَّهم تصيد أخطاء غيرهم والفرح بها وتضخيمها، ولم يرحموا من وقع فيها من الدعاة بل جاروا عليهم في ذلك حتى أساءوا الظن بهم، وبنواياهم، ومقاصدهم، وبخسوهم حقهم، وأهدروا حسناتهم وما لهم من بلاء وجهاد ودعوة. وفي أمثال هؤلاء يقول الشعبي – رحمه الله تعالى-: «والله لو أصبت تسعًا وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعدُوا علي تلك الواحدة»(١).

إنه «ليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفورًا لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقا، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة. وقد قال الله تعالى: { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الزمر:٣٣-٣٥). فقد وصفهم الله بأنهم متقون. و(المُتَّقُونَ) هم أولياء الله. ومع هذا فأخبر أنه يكفر عنهم أسوء الذي عملوا. وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والإيمان»(٢)

قال تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة:٨)

«فإذا كان– الله تعالي –قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم لأعدائه أن لا يعدلوا عليهم مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتخطئ على أن لا يعدل فيهم، بل يجرد لهم العداوة وأنواع الأذى، ولعله لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علمًا وعملاً، ودعوة إلى الله على بصيرة، وصبرًا من قومهم على الأذى في الله، وإقامة الحجة لله ومعذرة لمن خالفهم بالجهل»(٣).

---

(١) –نزهة الفضلاء ج١ ص٥٠٤ .

(٢) مجموع الفتاوي ج١ ص٦٦-٦٧ مرجع سابق .

(٣) بدائع التفسير لابن القيم ج٢ ص١٠٥ .

الطرف الثاني: أهل التفريط :-

وهؤلاء في المقابل وقعوا في الغلو في الرجال والتعصب لأخطائهم ولسان حالهم يقول بالعصمة لمن قلدوهم.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في وصف أهل الطرفين السابقين بعد أن ذكر فضل أئمة الإسلام: «... وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله ﷺ لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم ما جاء به الرسول ﷺ فقالوا بمبلغ علمهم – والحق في خلافها – لا يوجب اطراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقيعة فيهم؛ فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي رضي الله عنه ولا مسلكهم في الشيخين رضي الله عنهما»(١).

ويعلق –رحمه الله تعالى – بصورة أوضح علي هذين المسلكين منتقدا لهما في معرض ردِّه على بعض الشطحات التي وقع فيها الإمام الهروي – رحمه الله تعالى – في منازل السائرين، واختلاف أهل العلم في التعامل معها فيقول: [٢] «شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه ... ثم يقول: هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق وصحة المعاملة وقوة الإخلاص وتجريد التوحيد ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ . وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

إحداهما: حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم،وصدق معاملتهم؛ فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار. وأساءوا الظن بهم مطلقا؛ وهذا عدوان وإسراف؛ فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية حُجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم،

---

(١) –إعلام الموقعين عن رب العالمين ج٣ ص٥٨. مرجع سابق

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن قيم الجوزية ج٢ ص٢٢٠ وما بعدها بتصرف . ط: دار الكتب العلمية بيروت .

ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم. وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون.

أسباب الخلاف

ذلك هو الاختلاف ، وتلك بعض مظاهره بين الدعاة . ومن المؤكد أن هذا الخلاف بين الدعاة لم يأت اعتباطا، ولم تنشأ مظاهره جزافا ، بل له أسبابه ودواعيه ، والوقائع والأعمال كالكائنات الحية لا تولد من غير شيء ، ولا تنبت من غير بذر ، وإنما تستثمر النتائج من مقدمات وتستولد المسببات من أسباب .

ومن المهم في هذا المقام معرفة الأسباب ، وذلك ليتيسر علي أساسه تحديد نوع العلاج ، وصفة الدواء . إذ لا علاج إلا بعد التشخيص ، ولا تشخيص بعد بيان السبب أو الأسباب.

وأقسم سبب الخلاف إلي قسمين :

الأول : أسباب الخلاف المذموم.

الثاني: أسباب الخلاف المشروع.

أما بالنسبة للقسم الأول ،فالحقيقة أن سبب الاختلاف المذموم من الطرفين، ليس شيئا واحدا، ولكن أسبابه متعددة متنوعة ، وليس من الإنصاف للحقائق أن يركز علي سبب واحد ، ويغض الطرف عن الأسباب الأخرى، كما يصنع عادة كل منتم إلي مدرسة معينة .

فلا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد ، يبرز أمامنا ، ويطغي علي غيره من الأسباب. فالواقع أن ظاهرة الاختلاف المذموم ظاهرة مركبة ،معقدة ، وأسبابها كثيرة ومتنوعة ، ومتداخلة ، بعضها قريب،ماثل للعيان ،طاف علي السطح ، وبعضها بعيد ،غائض في الأعماق.

فلما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض، ونحو ذلك؛ فيحب لذلك ذم.قول غيره، أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب، أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك؛ لما في قيام قوله من حصول الشرف له والرئاسة، وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلم.

يقع فيه من يقع بسبب ، فساد نيته؛ أو جهل المختلفين بحقيقة الأمر المتنازع فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل

أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلاً (١)

والجهل والظلم هما كل شر؛ كما قال سبحانه: {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}(الأحزاب: من الآية٧٢).

ومن ثم أحاول عرض أسباب الاختلاف المذموم بين الدعاة بإيجاز حتى تكون ماثلة للعيان ،فمنها :

١- غرور النفس:

إن الغرور بالنفس يولد الإعجاب بالرأي والكبر علي الآخرين ،فيصر الداعية علي قوله ،ويستخف بآراء الآخرين ،رغم ما فيها من حجة وبرهان ،فهو ينظر إلي نفسه نظرة الافتخار ، وإلي رأيه نظر الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ،فهو الصواب والصواب هو ،وينظر إلي غيره نظر الاحتقار والازدراء اللذين لا يحتمل منهما الصواب.

ولو أن الداعية وقف مع نفسه قليلا ،واتهما ، وأيقن أنها أمارة بالسوء لدفع كثيرا من الخلاف والشقاق ، ولكان له أسوة برسول الله ﷺ الذي خاطبه ربه تعالي بقوله : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:١٥٩)

ومن قرأ القرآن الكريم بتدبر ،أدرك إلي أي مدي يربي القرآن الكريم المؤمنين ، ويؤدبهم،قال تعالي: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا} (الفرقان:٦٣)

إنه يستل من النفوس أمراضها ، كالغرور والكبر، حتى يسلس قيادها،ويستقيم اعوجاجها .

وإذا كان التواضع من ألزم صفات المسلم ، فإنها في حق الداعي أوجب ، ولنتأمل حال رسول الله ﷺ ، وهو أكمل الناس خلقا ، وأنبلهم

(١) انظر :اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص ١٤٨ مرجع سابق بتصرف.

مسلكا ، وأعظمهم إيثارا وتواضعا ، يخالفه أصحابه يوم بدر في المنزل الذي ينزلونه [١] ، ويوم أحد في الخروج للقوم ، فيترك رأيه لآرائهم ﷺ [٢] ويمضي أصحابه علي سنته حتى استحقوا من الله وصفهم بأنهم أذلة علي المؤمنين ،أعزة علي الكافرين[٣]

٢- الغيرة والحسد: الغَيْرةُ بالفتح محمودةٍ من أجل دين الله وحرماته، لكنها قد تجر صاحبها إن لم يتحرز شيئاً فشيئاً حتى يقع في لحوم العلماء والدعاة من حيث لا يشعر .

وأما الغيرَة بالكسر فهي مذمومة وهي قرينة الحسد والمقصود بها : (هو كلاَم العلماء بعضهم في بعض [٤] .

وكذلك الحسد الذي يعمي ويصم ؛ ومنه التنافس للحصول على الزعامة أو الصدارة والرياسة أو المنصب والجاه أو المال أو القرب من شيخه أو كسب رضاه فقد يبغي على إخوانه بسبب ذلك .

وهذا (هو الداء الدوي ، والشهوة الخفية ، التي تفتك بالإيمان ، وتحرق الحسنات ، فكم من إنسان عَذب المنطق ، وافر العلم، واسع الثقافة ، قد زهد في الدرهم والدينار ،ولكن حب الظهور والبروز قد سيطر علي قلبه ،وركب له كل صعب وذلول ،فأثار الخلاف ،ومزق الصفوف،وشتت الدعاة ،والمبرّر المعلن البحث عن الحق ، وحماية الدعوة ،والحرص علي الاتباع،ولو صدق مع نفسه لقال:إن كل هذا

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص٢٦٦-٢٦٧.
(٢) المرجع السابق ج٤ ص ١٣-١٤ .
(٣) - انظر : فقه الخلاف د/ عوض بن محمد القرني ص٣٣-٣٤ بتصرف ط/ دار الأندلس الخضراء المملكة العربية السعودية جدة .
(٤) لحوم العلماء مسمومة د/ ناصر العمر ص٢٠.

طلاء وغشاء للبحث عن السيادة والريادة.)[١]

٣- الهوى وسوء الظن بالآخرين : الهوى (هو كل ما خالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال

والأفعال والمقاصد [٢] ورغبة النفس في الوقوع في أعراض الآخرين

وكان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعمته دنياه) [٣] .

وأما سوء الظن فهو: حمل التصرفات ، قولاً وفعلاً ، على محامل السوء والشكوك وسوء الظن [٤] .

ومثل هذا ينظر إلي غيره من الدعاة بالمنظار الأسود ،يخفي حسناتهم، ويضخم سيئاتهم، فهم في نظره ،أفهامهم سقيمة ، وأعمالهم خاطئة، ومقاصدهم سيئة، ومواقفهم مريبة ، كلما سمع عن داع خيرا كذبه ،أو أوّله ، وكلما ذكر أحد الدعاة بفضل طعنه وجرحه فتجد أمثال هؤلاء (يسارعون إلي سوء الظن والاتهام لأدني سبب ، فلا يلتمسوا المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويتقممون الأخطاء ، ليضربوا بها الطبل ، ويجعلوا من الخطأ خطيئة ، ومن الخطيئة كفرا !!

وإذا كان هناك قول يحتمل وجهين :وجه خير وهداية ،ووجه شر وغواية ، رجحوا احتمال الشر علي احتمال الخير ، خلاف لما أثر عن علماء الأمة من أن الأصل حمل حال المسلم علي الصلاح ، والعمل علي تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان. وقد كان بعض السلف يقول :إني لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلي سبعين ثم أقول: لعل له عذرا آخر لا أعرفه !

من خالف هؤلاء في رأي أو سلوك – تبعا لوجهة نظر عنده – أتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السنة أو ما شاء لهم سوء الظن .

(١) فقه الخلاف د/ عوض بن محمد القرني ص٣٥-٣٦.
(٢) الهوى وأثره في الخلاف للشيخ عبد الله الفتيمان ص١٢.
(٣) لحوم العلماء مسمومة ص٢١.
(٤) تصنيف الناس بين الظن واليقين للشيخ بكر أبو زيد ص٣٢.

فإذا خالفتهم في سنية حمل العصا ، أو الأكل علي الأرض مثلا ، اتهموك بأنك لا تحترم السنة، أو لا تحب رسول الله ﷺ ، بأبي هو وأمي !

ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء علي العامة ، بل يتعدى إلي الخاصة ، وخاصة الخاصة ، فلا ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسّه شواظ من اتهام هؤلاء . ولم يقف الاتهام عند الأحياء ، بل انتقل إلي الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، فلم يدعوا شخصية من الشخصيات المرموقة إلا صوبوا إليها سهام الاتهام ، فهذا ماسوني ، وذلك جهمي، وآخر معتزلي .

حتي أئمة المذاهب المتبوعة – علي ما لهم من فضل ومكانة لدي الأمة في كافة عصورها – لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم.)[١]

إنهم مبدعون في تحطيم ما بينهم وبين الدعاة الآخرين من جسور يمكن أن يتم التفاهم من خلالها. (فحين كان الأصل فيمن يريد هداية الناس ، ووحدة أهل الحق أن يبني جسور الثقة بينه وبين الآخرين ، يأتي هذا الصنف من الناس فيهدم القائم منها ،ويحفر مكانه خنادق واسعة مهلكة من عدم الثقة وسوء الظن ، ثم يطلب بعد ذلك أن يقبل الآخرون بما عنده ، ويلومهم علي عدم سماع ما لديه من الحق بزعمه. إن الذي ينبغي أن يسود العلاقة بين الدعاة وأهل العلم هو الحب والإخاء والتعاون وحسن الظن .)[٢]

٤– التقليد والتعصب : إن الله تعالي لم يجعل العصمة لأحد من البشر. إلا لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام،لكن بعض المتعصبين لعالم أو جماعة ، ظنوا أنهم علي صواب ،وأن غيرهم علي خطأ ، ومع الأسف الشديد – هذا الداء قد فتك بالساحة الدعوية في هذا العصر ، وشتت شمل الدعاة ، ومزق صفوفهم ، فكثر المتعالمون في عصرنا ، (وأصبحت تجد شاباً حدثا يتصدر لنقد العلماء ، وتفنيد آرائهم وتقويم قولهم ، وهذا أمر خطير ؛ فإن من أجهل الناس من يجهل قدر نفسه ويتعدى حدوده)[٣] .

و(قد يوجد رجل ينقد آخر لا بناءً على علم أو فهم أو دليل ، بل مجرد تقليد أعمى : سمع فلاناً ينقده أو ينتقصه أو يذمه فسار على أثره بغير هدى ولا برهان)[٤]

حتى إن بعض الدعوات التي كان شعارها نبذ التقليد جملة وتفصيلا والعودة إلي الكتاب والسنة ، أصبحت أقوال أشياخهم حقا مطلقا لا يأتيه

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د/ يوسف القرضاوي ص ٥٤ – ٥٥ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م طبعة دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

(٢) فقه الخلاف .د/ عوض القرني ص ٣٩- ٤٠ . مرجع سابق .

(٣) لحوم العلماء مسمومة د/ ناصر العمر ص ٢٤ .

(٤) النقد وأدبه ص٩٩.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وربما كان هذا القول شذوذا خالف فيه الأمة ، وأصبح جمهور الناس في حق الدعاة ما بين غال وجاف ، فأناس آخرون غلوا في العلماء وكبار الدعاة حتى فقدوا أمامهم شخصيتهم ،وسلبوا إراتهم ، وأصبحوا يسلمون بكل ما قالوا ، بلا تفكير ولا روية ،مع أن من أقوال،إمام أهل السنة والجماعة الأمام أحمد بن حنبل : (لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكا ، ولا سفيان ، ولا الشافعي)[١] ، وأناس مازالوا في أبجديات العلم ، وإذا ذكر لهم الأئمة والعلماء وكبار الدعاة قالوا : هم رجال ونحن رجال ،وكم من رويبضة نال من الأخيار الأبرار، وملأ الآفاق ضجيجا وعويلا، وكان حقه أن يؤخذ علي يديه ، ويحجر علي لسانه ، ، والحق وسط بين طرفين.[٢] وهذا التقليد المذموم كان المشركون يفعلونه وكانوا يقولون : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢] . قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : (ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلا : إن آمن .. آمن ، وإن كفر كفر ؛ فإنه لا أسوة في الشر) [٣]

٥- مؤامرات الأعداء وأهل النفاق:

إن دسائس أعداء الإسلام ، من اليهود والنصارى ،وهجومهم العلني ، وتآمرهم الخفي علي الأمة ،وعداوتهم لهذه الأمة معلومة مستيقنة،قال تعالي﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: من الآية٢١٧) أضف إلي ذلك المنافقين والكارهين للحق من العلمانيين بشتى اتجاهاتهم من أقوى أسباب الخلاف،وقد أخبر بها المعصوم ﷺ محذرا من الخلاف، قال ﷺ :(إن الشيطان قد يئس أن عبد في جزيرة العرب ، ولكنه يرضى بالتحريش بين المؤمنين)[٤] (فكم من منافق عليم اللسان ، ذرب المقال ، فصيح العبارة ، يتنقل بين المسلمين بمظهر أهل التقوى ،وهو يقوم بدور عبدُ الله بن سبأ الذي أوقع ما أوقع بين المسلمين ، بعد أن غرهم بنسكه وعبادته ،ولا تحسب أن صاحب هذا الدور سيأتيك بمظهر أهل الفجور والفسق، بل سيَعِدُ إعدادا خاصا ليتلاءم حاله مع دوره.)[٥]

---

(١) – مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٢ ص ٢١٠ . وانظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزية ج٢ ص ٣٠٢. ط/دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) فقه الخلاف ص ٤١-٤٣ بتصرف . مرجع سابق .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لبن كثير عند تفسيره لهذه الآية ط/دار الكتب العلمية بيروت .وانظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٤)رواه مسلم في صحيحه انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ج١٧ ص١٥٦. ط/دار الكتب العلمية بيروت

(٥) فقه الخلاف ص ٥٢ مرجع سابق .

فالإخوة الذين يتبعون أعداء الدعوة من حيث يشعرون أو لا يشعرون، سيكونون فريسة سهلة فيما بعدُ لهم ، فإنهم قد أعانوا الأعداء على إخوانهم؛ وهل سيتركهم الأعداء ؟ لن يتركوهم كما هو ملموس في الواقع.

ولعل من المناسب ذكره هنا ما أذيع في صوت أمريكا في تحليل إخباري عن تقرير أعده مجلس الأمن القومي الأمريكي عن النظام العالمي الجديد، وذكر في هذا التقرير عن الإسلاميين أمور منها: (إثارة الخلافات حول قضايا مثل حجاب المرأة وهل يجب فيه تغطية الوجه أو كشفه ، وإثارة الخلافات بين الأحزاب والتيارات ، فهذا إخواني ، وهذا سلفي، وإثارة النزاعات بين الدعاة والحكومات التي تتبنى الإسلام).[١]

(وبهؤلاء المشنعين) آل أمر طلائع الأمة وشبابها إلى أوزاع وأشتات وفرق وأحزاب ، وركض وراء السراب ، وضياع في المنهج والقدوة، وما نجا من غمرتها إلا من صحبه التوفيق وعمر الإيمان قلبه . ولا حول ولا قوة إلا بالله) [٢] . هذا ما يخطط له أعداء الأمة، وتدار حوله المؤتمرات، وتستنفذ فيه الجهود ، وتبذل فيه الأموال، ويستغل فيه كل عميل مأجور ، أو ساذج بليد، يثيرون بهم الخلافات ، ويسعرون بأيديهم نارها، ومع ذلك تجدهم في غيهم سادرون ،وفي تيههم ماضون .أما عن القسم الثاني وهو:

أسباب الخلاف المشروع :-

فكما أن الخلاف المذموم له أسبابه ، التي ذكرت جانبا منها،والتي يمكن علاجها كما سأذكر إن شاء الله تعالي ودفعها،ورفعها ، فإن للخلاف المشروع أسبابه التي لا يمكن دفعها ولا رفعها ، ولا يذم من كان خلافه مبنيا عليها ، لأنها مراعاة في الشرع ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :عند قوله تعالي :(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (الأنبياء:٧٨) (إن الخلاف وقع بين الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء، ومن لوازم هذه الوراثة وقوع الخلاف بينهم، بل وقوع الخلاف بين العلماء من باب أولى)[٣]

ومن ثم أذكر هذه الأسباب بشكل موجز ومختصر بلا شرح ولا

---

(١) المرجع السابق ص٥٢- ٥٣.

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ٤٠ . مرجع سابق.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٣٣ص٢٩. وانظر :تفسير الشوكاني(فتح القدير) عند تفسيره لهذه الآية ،وكذلك تفسير الألوسي(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبه المثاني)عند تفسيره لهذه الآية .

تفصيل ، لأن المقام لا يسع، ولأنها ليست المقصودة بغرض البحث.

وأبرز هذه الأسباب:

١- تفاوت العقول في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها على الأحداث النازلة.

٢- طبيعة اللغة العربية.

٣- اختلاف المجتهدين في بعض قواعد الاستنباط والاجتهاد.

٤- الخلاف في حجية بعض الأدلة مثل الإجماعات ،والقياس ، وشرع من قبلنا، والاستصحاب والاستحسان، وغيرها.

٥- الاختلاف في ثبوت بعض نصوص الشرع من السنة النبوية، وترجيح بعض النصوص علي بعض؛

٦- الاختلاف في فهم المراد من بعض النصوص الشرعية .

٧- تحقيق المناط (الاختلاف في تنزيل الأحكام علي الوقائع).

٨- الإختلاف في تقدير المصالح والمفاسد.[١]

علاج الخلاف المذموم :

ويمكن علاج نزعة الخلاف المذموم،التي يحاول البعض إثارتها ،وذلك بالرجوع إلي المنبع الصافي من الكتاب والسنة ،وانتشار الأخلاق الإسلامية في نفوس أهل هذه الفئة ،ومن ذلك :

١- تقوي الله تعالي وتجنب آفة اللسان :

فالله تعالي يقول (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق:١٨)

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: (الربا اثنان وسبعون باباً ، أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) [٢] .

---

(١) انظر ما كتب حول أسباب الخلاف قديما وحديثا ومنها كتاب الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الخلاف للإمام ابن السيد البطليموسي ،واعتمد عليها ولخصها الإمام الشاطبي في الموافقات في كتاب الاجتهاد منه . والإنصاف فى أسباب الخلاف .للشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوي ت سنه ١١٧٦هـ.الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ط/ دار الكتب العلمية بيروت. ونبه على أسباب الخلاف الإمام ابن رشد الحفيد فى مقدمه كتابه : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، بل وكل الكتاب يعتبر تنبيها على أسباب الخلاف فى مسائل الفقه ، وحديثاً كتب فى هذا الموضوع كثير مما يصعب حصره من ذلك : أسباب الاختلاف للدكتور / عبد الله التركي ، أسباب اختلاف الفقهاء ،د/ على القفي ، أسباب اختلاف الفقهاء للشيخ على الخفيف ، والباحث : أحمد بن محمد عمر الأنصاري ضمن بحثه : آثار اختلاف الفقهاء قدرا كبيرا منها ، وأشار إليها الشيخ / محمد عوامه فى كتابه : أدب الاختلاف ، وعرض لها باختصار د/ الأشقر فى كتاب نظرات فى أصول الفقه

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم الحديث ١٨٧١. وانظر : مجمع الزوائد ج٤ ص١١٧ ، والترغيب والترهيب ج٣ ص ٦ .

٢- الإخلاص والتجرد من مهلكات الأخلاق:

وذلك بعدم الغيرة والحسد والهوى وعدم سوء الظن ، فالغيرة تهلك صاحبها وتجعله في همّ وغم ؛ لأنه يحسد الآخرين ويغار منهم ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال : رسول الله ﷺ : (... لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا) [١] .

وأما الهوى فيضل الداعي عن الحق وإن كان يعرف ذلك ، فإذا صار الهوى هو القائد والدافع صار أصحابه شيعاً يتعصب كل واحد لرأيه ، ويعادي من خالفه ولو كان الحق معه واضحاً ؛ لأن الحق ليس مطلوبه) [٢]

وأما عن حسن الظن فأن الأصل في المسلم حسن الظن به ، ولا سيما وهو من العاملين في حقل الدعوة ، وقد أمرنا الله تعالى بتجنب كثيرا من الظن ،قال (تعالى) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات : ١٢] (فأمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن ؛ لأن بعض هذا الكثير إثم) [٣] .

فكما أنه يحسن الظن بنفسه فعليه أن يحسن الظن بإخوانه .

٣- الموازنه بين فضائل المخالف ومساوئه والحكم على الغالب والانتفاع بعلمه:

هذا هو هدي رسول الله ﷺ ،فمن مواقفه في ذلك: يوم بدر عندما رأى ﷺعتبة بن ربيعة بين المشركين على جمل أحمر قال ﷺ: (إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) [٤] .

وأيضا بعد المعركة ،قال ﷺ في أسارى بدر : (لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له)[٥] ، فيدل هذا علي أن الرسول- ﷺ- كان يذكر محاسن المشركين .

ومن ثم صار علي نفس النهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، فكانوا يوازون بين محاسن المخالف ومساوئه ، ثم يبنون علي الغالب ، ومن ذلك: قول الإمام سعيد بن المسيب : ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ؛ ولكن إن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله ؛ كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله) [٦] .

---

(١) متفق عليه في صحيح البخاري كتاب الأدب حديث رقم ٥٧١٩ ج٥ ص ٢٢٥٣ ، وصحيح مسلم حديث رقم ٢٥٦٤ ج٤ ص١٩٨٦.
(٢) - الهوى وأثره في الخلاف ص٢٣.
(٣) منهج أهل السنة والجماعة في النقد ص ٢١.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص ٢٦٨ ط/ دار الكتب العلمية بيروت .
(٥) انظر : فقه السيرة النبوية : منير محمد الغضبان ص٤٣٨-٤٤٥ ط/مطابع جامعة أم القرى ،سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية.
(٦) حقيقة البدعة وأحكامها د/ سعيد الغامدي ج٢ ص ٣٥٩.

وقال الإمام ابن القيم : (فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرِكَ جملةً ، وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها) [١] .

ويقول الإمام الذهبي : (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدّعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا ، رحم الله الجميع بمنه وكرمه) [٢] .

(وهذا الكلام في الموازنة بين الحسنات والسيئات إنما هو في الحكم على الأشخاص) [٣] وكذلك الهيئات والجماعات، والفصائل الدعوية.

أما في تصحيح أخطاء المخالف من الدعاة، أو ذكر الأمور الحسنة العظيمة والموافقة في الحق : فإذا كانت في مقام رد خطأ داع من الدعاة فلا يلزم ذكر حسناته ، وعلى هذا فإذا بين أحد الدعاة خطأ إمام مخالف له فقال : أخطأ هذا الداعي ، أو الإمام في مسئلة كذا كفاه ذلك . وإذا كان بعض الدعاة من المخالفين لك،أو ممن وقعوا في مخالفة شرعية من وجهة نظرك، ولكنه يجيد علماً معيناً كعلم النحو أو الصرف أو البلاغة أوالفقه أو المواريث فأثنيت عليه وذلك في مقام ذكر أي علم من العلوم ،أو تخصص من التخصصات ، فلا بأس أن تقول إن هذا الداعية بارع في علم الفقه ، أو البلاغة ،أو الأصول ، أو نحو ذلك.

(هذا إذا أمنت الفتنة على السامع ، أما إذا كان السامع سيفهم الكلام على غير وجهه ويظنه حكماً مطلقاً فلا بد من البيان [٤]. بل لايمنعه إختلافه معه من الانتفاع بعلمه ، وإحالته مستفتيه إلي من يخالفه ،وهذا من أدب الخلاف عند السلف الصالح،قال أبو بكر الخلال :أخبرني الحسين بن بشار المخرمي . قال سألت أحمد بن حنبل عن مسألة في الطلاق ؟ فقال إن فعل حنث.

فقلت :يا أبا عبد الله إن أفتاني إنسان؟ يعني لا يحنث.فقال لي : تعرف حلقة المدنيين ؟

قلت : نعم- وكانت للمدنيين حلقة في الرصافة في المسجد الجامع- فإن أفتوني حل؟

قال : نعم. (٥)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج٢ ص٣٩.
(٢) سير أعلام النبلاء الأمام الذهبي ج١٤ ص ٣٦٧ ،ج١٥ ،ص ١٥٧ ط/ دار الكتب العلمية بيروت .
(٣) قواعد التعامل مع العلماء ص ١٣٨.
(٤) قواعد في التعامل مع العلماء ص ١٣٨.
(٥) طبقات الحنابلة أبو الحسين محمد بن أبي يعلى وابن رجب الحنبلي ج١ ص١٤٢ ط/دار الكتب العلمية بيروت ،وانظر روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ص٢٠٧ ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤- عدم الاعتباربكلام الأقران بعضهم في بعض : فقد قعّد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم قاعدة عظيمة هي : (كلام الأقران يطوى ولا يروى) .
وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : (خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض ؛ فإنهم يتغايرون تغاير التيوس)[١] ويقول الإمام الذهبي : (كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به ، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت أن عصراً من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس)[٢] .

٥- عدم تفسيق المخالف والشعور بالولاء له :-

قال الإمام ابن حزم :وذهبت طائفة إلي أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وإن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور علي كل حال ،إن أصاب الحق فأجران ، وإن أخطأ فأجر واحد .
وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جمعيهم ، وهو قول من عرفنا له قول في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم ، لا نعلم منهم في ذلك خلافا أصلا [٣]
قال الإمام الذهبي :(ولو أنما كلما أخطأ إمام في اجتهاده في أحاد المسائل خطأ مغفورا له قمنا عليه وبدعناه ، وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة ولا من هو أكبر منهما فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة[٤]،والحاصل أن لا تفسيق ولا تضليل مع الاجتهاد والتأويل ، وإن كان ليس كل اجتهاد صوابا ولا كل تأويل مقبولا ، ولكن كلامنا في ذات المجتهد والمأول [٥]
ومن ثم عندما يُوجه لداعية انتقاد؛ لتصحيح خطأ أوزلة وقع فيها ، فلا يُفرط في الأمر حتى يصبح الكلام فيه حديث المجالس ، وكذلك لا يبغض بغضا أشد من المعادين للإسلام؛ لأن أصل الولاء ما زال قائما بينهم، قال ابن تيمية : (ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات ، فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ، ويحب من وجه ويبغض من وجه ؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة)[٦]

---

(١) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي ج١ ص ٤٥ ط /دار الكتب العلمية بيروت
(٢) منهج أهل السنة في النقد ص٦١.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري الأندلسي ج٣ ص ٢٤٧ ط/دار الكتب العلمية بيروت.
(٤) سير أعلام النبلاء ج١٤ ص٤٠ . مرجع سابق.
(٥) انظر : الجرح والتعديل لجمال الدين القاسمي ص٢٣ .
(٦) مجموع الفتاوى ج٣٤ ص١٣٩.

٦- رد الأمر عند الاختلاف للكتاب والسنة :-

فمعلم أن الكتاب والسنة هما المعيار الذي يتحاكم إليه المسلمون، عند كل رأي أو قول أو مذهب ، حتى يتحقق في الأمة قول الله عز وجل: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء: من الآية٥٩)
وحينئذ تصبح المرجعية العليا لوحي الله تعالي المنزل، وحين يرجع الدعاة إلي هذه المرجعية ، ويحكمونها في حياتهم الدعوية ، وينتهون إلي قول الله تعالي ورسوله ﷺ مذعنين طائعين ، فإن أكثر الخلافات بينهم ستزول.
(أما حين تقرر الآراء ، أو بالأحرى الأهواء، ثم يبحث لها عن المبررات في النصوص الشرعية اعتسافا وابتسارا ، فهذا عمل لا مشكور ولا مبرر ، بل الأصل والواجب أن تكون الآراء والاجتهادات نابعة من الكتاب والسنة، وثمرة للتأمل فيهما ، والعيش في ظلالهما .[١]
ورحم الله أئمتنا الذين تأدبوا بادب القرآن الكريم، ومنهج النبي ﷺ ، فكان بعضهم يقول :(إذا صح الحديث فهو مذهبي .) ويقول بعضهم: (ما وجدتم لي من قول يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط)[٢]

٧- عدم التهويل في الأمور الخلافية التي يسوغ فيها الاجتهاد :-

فقد تجد بعض الأمور الاجتهادية التي تتفاوت فيها الاجتهادات ، فيحاول بعض المتنازعين تصعيدها إلي دائرة الأصول والمسائل الاعتقادية ، فينعدم التغافر وتتفرق الكلمة ،ومن هنا تتعين اليقظة الدائمة .....، والحرص الدائم علي عدم الغلو في مسائل الفروع ، ورفعها إلي مصاف الأصول ، لما لذلك من أثره البالغ علي الروح التي تعالج بها القضايا ، ومدى الأهمية التي تعطى لنتيجة التداول بشأنها .[٣]
فإن الغالب في الأمور التي ينتقد عليها بعض الدعاة أموراجتهادية خلافية، وقد يكون الخلاف فيها قد حصل عند السلف الصالح رضوان الله عليهم ،

١- فقه الخلاف ص٩١ مرجع سابق .
٢- انظر : سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٣٤. مرجع سابق .
٣- انظر: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ص ٣٤٠ بتصرف . مرجع سابق

فيأتي بعضهم مُهوّلاً أن الداعي الفلانيّ قد خالف في المسألة الفلانية ، وأن هذا خلل في المنهج وانحراف عنه ؛ وليس الأمر كذلك ؛ فلا ينبغي أن تجرنا الخصومة إلى هذا الحد ؛ بل لا بد من الترفق بإخواننا الدعاة ؛ فإن المخالفة تسوغ في الفروع وفي الأمور الظنية .

٨- اشتغال الداعية بأخطائه :-

لا ينفك المنافس في ميدان الدعوة عن التكبر علي الأقران والأمثال ، والترفع إلي فوق قدره ،حتى إنهم ليتقاتلون علي مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع ، والقرب من وسادة الصدر ، والتقدم في الدخول علي أصحاب الشأن ، وربما يتعلل بعضهم بأنه يبغي صيانة عز العلم ، ومع ذلك يجرح غيره في موقف أدنى من موقفه هذا ، ويرمي بعضهم بعضا بالدنايا ، والعيوب ،والأصل أن الداعية ينبغي عليه أن يشتغل بأخطائه ، ويقوّم اعوجاج نفسه أولا ، قبل أن ينشغل بعيوب غيره .ويصلح من نفسه قبل أن يطلب إصلاح أقرانه وأمثاله .

يقول ابن رجب :«.. فرحم الله من أساء الظن بنفسه علماً وعملاً وحالاً،وأحسن الظن بمن سلف، وعرف من نفسه نقصًا ومن السلف كمالاً، ولم يهجم على أئمة الدين ...،وإن أنت أبيت النصيحة ... وصار شغلك الرد على أئمة المسلمين والتفتيش عن عيوب أئمة الدين فإنك لا تزداد لنفسك إلا عُجبًا، ولا لطلب العلو في الأرض إلا حبًا، وعن الحق إلا بعدًا، ومن الباطل إلا قربًا»(١).

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً ... إن عبت منهم أموراً أنت تأتيها
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه ... في كل نفس عماها عن مساويها
عرفتها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها (٢)

٩- الأدب مع العلماء ، والرجوع إليهم ، ووضع الثقة فيهم :

تعجب لهؤلاء الجراحين الذين لا يقبلون ،أن يسمعوا ثناء من أحد على عالم أوداعية،أوهيئة أو جماعة ، أو فصيلة من الفصائل الدعوية، فيما ظهر وعُلم من حالهم، وعلمهم ونشاطهم، ، وفي المقابل تجدهم مفتونين بمن هم أقل منهم علما ودراية ؛ مع أن الأصل في المسلم ، حب العلم ،والتأدب مع الدعاة في كل الأحوال مع احترام آرائهم والثقة في علمهم .

فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر علي المعلم ، فإن العلم سبب النجاة والسعادة ، فعليه بالتواضع مع العلماة والدعاة ، لذلك قيل :(العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حربٌ للمكان العالي ، فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع.(٣) قال تعالي : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى

(١) فقه الائتلاف ص٢٠٦

(٢) لحوم العلماء مسمومة ص ٤٤ .مرجع سابق.

(٣) انظر إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي ج١ ص ٥٠ ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق:٣٧)

قال طاووس بن كيسان:(من السنة أن يوقر العالم).

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول ﷺ: (إن من إجلال الله (تعالى) : إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط) [١] .

صور من سيرة السلف في أدب الخلاف:-

وأختم هذا البحث بذكر بعض نماذج رفيعة ،تكتب بماء من ذهب، لأقوال وأفعال سلفنا الصالح في أدب الخلاف ، ومواقفهم العادلة من زلات المخالفين وردودهم على بعضهم؛ في منهج دعوي متوازن ،ليكون نبراسا للدعاة في هذا العصر،الذي يجب على كل مسلم وبخاصة طلاب العلم والدعاة أن يأخذوا به ويتعاملوا مع بعضهم في ضوئه وهداه،ومن هذه النماذج:

النموذج الأول:-

سأل رجل عليا رضي الله عنه ، فأجاب ، فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت وأخطأت ، وفوق كل ذي علم عليم .(٢)

النموذج الثاني:-

استدرك ابن مسعود علي أبي موسى الأشعري –رضي الله عنهما– لما سئل أبو موسى – وهو يومئذ أمير الكوفة–عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل؟ فقال :هو في الجنة ، فقام ابن مسعود ،فقال أعده علي الأمير فلعله لم يفهم ،فأعاد عليه فأعاد الجواب ، فقال ابن مسعود : وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة ، فقال أبو موسى الحق ما قال .(٣)وهكذا يكون إنصاف طلب الحق ،ولو ذكر مثل هذا لأدنى الناس منزلة في العلم والمنصب ، أولمن صدروا أنفسهم للعمل في ميدان الدعوة ، لأنكره واستبعده ، فتجد أمثال هؤلاء يسود وجه الواحد منهم إذا اتضح الحق علي لسان خصمه ، ويخجل به ، ويجهد في مجاحدته وإنكاره بأقصى قدرته،ويكره من أفحمه ويذمه طول عمره .

(١) رواه أبو داود حديث رقم (٤٨٤٣) وأنظر: مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١٥.

(٢) انظر إحياء علوم الدين ج١ ص٤٤. مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق ج١ ص٤٤ .

النموذج الثالث:

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: «يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره العداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن ألقه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المبلغ؛ فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر. لا تزيدن على ذلك شيئا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار؛ إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم؛ لقول الله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ) (الشورى: من الآية٤٠) فإنْ نازعتك نفسك بالمكافأة فأفكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ثم ابدر له إحسانا بهذه السيئة، ولا تبخسنّ باقي إحسانه السالف بهذه السيئة؛ فإن ذلك الظلم بعينه. يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل»(١).

النموذج الرابع :-

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة(٢).

النموذج الخامس:-

قال الإمام الذهبي في ترجمته لمحمد بن نصر المروزي: «ولو أنّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما. والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة (٣).

النموذج السادس:-

وقال رحمه الله تعالي، في ترجمة قتادة – رحمه الله تعالى» :- وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع؛ فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر نسأل الله العفو ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ولعل الله يعذرُ أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، وإلهٍ حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثرَ صوابُه، وعُلمَ تحرِّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحُه وورعُه واتباعه، يُغفر له شه، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»(٤).

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢ ص٢٥٢-٢٥٣. ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) سير أعلام النبلاء ج١٠ ص١٦.

(٣) نزهة الفضلاء ج٢ ص١١٢٧.

(٤) سيرة أعلام النبلاء ج٥ ص٢٧١.

النموذج السابع :-

وقال رحمه الله، في ترجمته لصاحب الأندلس الناصر لدين الله: «وقد كنتُ ذكرت ترجمتَه مع جدِّهم، فأعدتها بزوائدَ وفوائد، وإذا كان الرأس عاليَ الهمَّة في الجهاد، احتملت له هَنَات، وحسابُه على الله، أما إذا أمات الجهاد، وظلَمَ العباد، وللخزائن أباد، فإنَّ ربَّك لبالمرصاد»(١).

النموذج الثامن :-

كان إسحاق بن راهويه – رحمه الله تعالى – يشيد بعلم الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ويقول: «الحق يحبه الله عز وجل: أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه مني وأعلم مني»(٢). وكان أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – يقول في إسحاق: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا»(٣).

النموذج التاسع :-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة ،ولقد كان أبو بكر وعمر سيدا المسلمين يتناعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير).(٤)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : (وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء ،كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله عفا للمؤمنين عما أخطأوا).(٥)

فإن وقع خلط من بعض الدعاة في مسائل يسيرة مما لا يقدح في إمامتهم وعلمهم،فلا ينبغي تجريحهم ،بل لقد انغمر ذاك في محاسنهم ،وكثرة صوابهم، وحسن مقاصدهم، ونصرهم للدين.

والانتصاب للتنقيب عن زلات الدعاة ليس محمودًا ولا مشكورًا، لاسيما في فضول المسائل الاجتهادية التي لا يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها كشف خطئهم وبيانه.

النموذج العاشر :-

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى –: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين»(٦).

---

(١) المرجع السابق ج١٥ ص٥٦٤.

(٢) نزهة الفضلاء الفضلاء ج٢ ص٧٧٥.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص٨٢٠ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٤ ص ١٧٣ .

(٥) المرجع السابق ج ٣٢ ص٢٣٩ .

(٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج٣ ص٣٥٩ .ط / دار الكتب العلمية بيروت

ويقول أيضا: «ولولا أن الحق لله ورسوله، وأن كل ما عدا الله ورسوله فمأخوذ من قوله ومتروك، وهو عرضة الوهم والخطأ، لما اعترضنا على من لا نلحق غبارهم، ولا نجري معهم في مضمارهم، ونراهم فوقنا في مقامات الإيمان، ومنازل السائرين، كالنجوم الدراري. ومن كان عنده علم فليرشدنا، ومن رأى في كلامنا زيغا، أو نقصا وخللا فليهد إلينا الصواب، نشكر له سعيه، ونقابله بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم، والله أعلم وهو الموفق»(١).

ويقول عنه أيضا- رحمه الله تعالى -: «ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام-أي الهروي- إهدار محاسنه، وإساءة الظن به؛ فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل. وكل أحد فمأخوذ من قوله ومترك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه. والكامل من عُدَّ خطؤه؛ ولا سيما في مثل هذا المجال الضنك، والمعترك الصعب؛ الذي زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات، وأشرفوا - إلا أقلهم - على أودية الهلكات»(٢).

وفي معرض الرد عي الشيخ الهروي أيضا يقول - رحمه الله تعالى -: «شيخ الإسلام - أي الهروي- حبيبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: (عمله خير من علمه). وصدق رحمه الله؛ فسيرته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد أهل البدع لا يشق له فيها غبار، وله المقامات المشهورة في نصرة الله ورسوله. وأبى الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم. وقد أخطأ في هذا الباب لفظا ومعنى»(٣).

النموذج الحادي عشر:

رسالة الليث بن سعد إلى الإمام مالك - رحمهما الله تعالى - ومما جاء فيها:» سلامٌ عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة.

---

(١) مدارج السالكين ج٢ ص ٣٩٤.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٣٦٦.

(٣) مدارج السالكين ج٤ ص٣٥٢.

قد بلغني كتابُك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمَّه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه.

وذكرت أنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وإني يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به، وأن الناس تبعٌ لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن.

وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدًا يُنسب إليه العلم أكره لشوارد الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مَضَوْا، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني، والحمد لله رب العالمين لا شريك له.

وذاكرتُك أنت وعبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك، فكنتما من الموافقين فيما أنكرت؛ تكرهان منه ما أكرهه، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل، ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حَسَنَة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة، ولنا خاصة، رحمه الله، وغفر له، وجزاه بأحسن ما عمله ... [إلى أن قال في ختام رسالته]. وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهبَ مثلك مع استئناسي بمكانك، وإن نأتنا لدارُ، فهذه منزلتك عندي، ورأيي فيك فاستيقنه.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولينا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليك، ورحمة الله»(١).

---

(١) إعلام الموقعين ج٣ ص١١٠ .

وختاما إلي القائمين والعاملين في ميدان الدعوة الإسلامية، ممن شرفوا بحمل هذه الأمانة ، وإنها والله لأمانة تنوء بمثلها السماوات والأرض والجبال ،التي أبين أن يحملنها ،وأشفقن منها ، !وقد أبيتم أنتم إلا تحملوها علي عواتقكم ، وتقدموا أنفسكم إلي الأمة علي أنكم روادها والقائمون بها ، وأنكم أحق بها وأهلها !

وقد مضيتم في انتصابكم لهذه الأمانة سنينن عددا ،ولا تزال بيضتكم مستباحة ، ودعوتكم مجرّمة ، والتابعون لكم قليل مستضعفون في الأرض ، يخافون أن يتخطفهم الناس ، وأقصى ما يفكر فيه بعضكم : كيف يعقد مناظرة مع أخيه ليبطل دعوته ،ويفرق الناس من حوله؟

فهلا وقفتم وقفة لتحاسبوا فيها أنفسكم ، ولتزنوا أعمالكم ، وجهادكم الدّعوي ،ولتبحثوا عن الخلل ، وكيفية الخروج من هذه الفتنة ؟

إنه لا ينقص الأمة في كثير من بلاد المسلمين ،في هذا العصر، إلا رفع راية الوحدة والائتلاف بين الدعاة ، فإنهم كثير عددهم ، غزير علمهم ، إنما أضعفهم التشتت والضياع والاختلاف .

وإن المأمول فيكم أيها الدعاة –إن شاء الله تعالي – أن تنهضوا تغذون السير إلي دعوة الله تعالي ، وتتسابقون وتتناصحون في طريق النهوض بالدعوة الإسلامية .

أسأل الله تعالي أن يجمع بين العاملين في ميدان الدعوة علي الخير ،وأن يجعل اختلافهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وأن يرفع رايتهم ،و يوحد كلمة.

د/ مجدي عبد الغفار حبيب

أهم المراجع

١. إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي ط /دار الكتب العلمية بيروت .

٢. الإرشاد إلي صحيح الاعتقاد د/ صالح بن فوزان : ط/ دار ابن الجوزي . الطبعة الخامسة ، ١٤٢١هـ .

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٤. اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم :شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ محمد حامد الفقي: ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٥. الإنصاف فى أسباب الخلاف للشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوي ت سنه ١١٧٦هـ.

٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف /علي بن سليمان المرداوي ط/ دار الكتب العلمية . بيروت

٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ط/دار الكتب العلمية بيروت .

٨. البداية والنهاية لابن كثير ط/ دار الكتب العلمية .

٩. تجديد الخطاب الديني (تعريف وضوابط) د/ كمال المصري

١٠. الترغيب والترهيب للمنذري ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

١١. تصنيف الناس بين الظن واليقين للشيخ بكر أبو زيد/ الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض– المملكة العربية السعودية

١٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط/ دار الكتب العلمية بيروت

١٣. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

١٤. الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي . د/ صلاح الصاوي .كتاب المنتدى الإسلامي . مطابع أضواء البيان . الرياض.

١٥. الجامع الصحيح (سنن الترمذي: ط/ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

١٦. الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني د/محمد عمارة ط/ مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى.

١٧. الخطاب الإسلامي وحتمية تطويره . د/ فتحي يكن.

١٨. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة د/ يوسف القرضاوي ط/ دار الشروق

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) تفسير الألوسي.ط/ دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٠. روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٢١. زاد المعاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٢٢. سنن أبي داود:ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٢٣. سنن ابن ماجة: ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٢٤. سير أعلام النبلاء الأمام الذهبي ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٢٥. شرح السنة للإمام الحسن بن مسعود البغوي تحقيق الشيخين علي معوض وعادل عبد الموجود ط/دار الكتب العلمية بيروت .

٢٦. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د/ يوسف القرضاوي الطبعة الثانية ١٤١٣ه – ١٩٩٢ م طبعة دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

٢٧. صحيح البخاري: ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٢٨. صحيح مسلم/ الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري: تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي: ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٢٩. صفة الصفوة لابن الجوزي. ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

٣٠. طبقات الحنابلة أبو الحسين محمد بن أبي يعلى وابن رجب الحنبلي ط/دار الكتب العلمية بيروت.

٣١. فتح القدير (تفسير الشوكاني) ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري الأندلسي ط/دار الكتب العلمية بيروت

٣٣. فقه السيرة النبوية : منير محمد الغضبان ط/مطابع جامعة أم القرى .سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية .

٣٤. فقه الخلاف د/ عوض بن محمد القرني ط/ دار الأندلس الخضراء المملكة العربية السعودية جدة .

٣٥. في فقه الأولويات / الدكتور يوسف القرضاوي ط دار الوفاء

٣٦. لسان العرب لابن منظور ط/دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

٣٧. مجلة المنار:محمد رشيد رضا.

٣٨. مجلة البيان .

٣٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن حجر الهيثمي ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤٠. مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط/ مجمع الملك فهد.

٤١. مختار الصحاح لأبى بكر الرازي ط/الأميرية.

٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن قيم الجوزية ط: دار الكتب العلمية بيروت .

٤٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل : ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٤٤. مظاهر الغلو المعاصر / عبد الرحمن معلا اللويحق. بحث مقدم ضمن أبحاث مؤتمر الحوار الوطني السعودي في ٢٠٠٤/٢/١٧م

٤٥. من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق / عبد الله الزبير عبد الرحمن : كتاب الأمة العدد ٥٦ ذو القعدة ١٤١٧ ه

٤٦. الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبو اسحاق إبراهيم الشاطبي : ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٤٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار : للشوكاني :.ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان